

## من أعظم منه جوداً؟



﴿... سبّانه يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره وأنا ته وسعة رحمة وجوده. فما قتضى ذلك خاتمة من يشرك به ويصاده في حكمه ويختهد في مخالفته ويُسعى في مساخطه. بل يُشَبِّه سبّانه وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطبيات، ويرزقه ويعافيه، ويمكّن له من الأسباب ما يتلذذ به من أصناف النعم، ويحب دعاءه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءاته، فإنكم في ذلك من حكمة وحمد. ويتحبب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته. كما في الصحيح عنه (ص) أذنه قال: "لا أحد أصبر على أذى يسمعه من ﴿...﴾ يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم"، وفي الصحيح عنه (ص) فيما يروي عن ربه: "كذا بني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فاما تكذيبه يا اي فقوله: لن يُعذبني كما بدأني، وليس أولخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: إن تخذ ﴿...﴾ ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد".

وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته. وهو سبّانه مع هذا الشتم له والتکذیب يرثى الشاتم المكذب، ويعافيه، ويدفع عنه، ويقبل توبته إذا تاب إليه، وينبذله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، ويفعله لإرسال رسالته، ويأمرهم بأن يلينوا له القول ويرفقوا به.

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: ما من ليلة يختلط طلامها إلا نادى الجليل جل جلاله: "من أعظم مني جوداً". الخلائق لي عاصون وأنا أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوها. أحود بالفضل على العاصي، وأتفصل على المتسيء. من ذا الذي دعاني فلم ألباه. ومن ذا الذي سألني فلم أعطاه. أما الجواب ومني الجود. أنا الكريم ومني الكرم. ومن كرمي أني أعطي العبد ما سألني وأعطيه ما لم يسألني. ومن كرمي أني أعطي التائب كأنه لم يعصني. فأين عندي يهرب الخلق، وأين عندي يتنحنح العاصون".

وفي أثر إلهي: "إني والإنس والجن في نبا عظيم. أخلق ويعبد غيري وأرزق وشكر سواي". وفي أثر حسن: "ابن آدم ما أنصفتني، خيري إليك نازل وشرك إليك صاعد. كم أتحب إليك بالنعم وأنا غني عنك، وكم تتبعض إلي بالمعاصي وأنت فقير إلي". ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح. وفي الحديث الصحيح: "لو لم تذنبووا لذهب ﴿...﴾ بكم ول جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم".

فهو سبّانه لكمال محبته وكمال أسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيه

أحكامها وآثارها . فلمحبته للعفو خلق من يحسن العفو عنه . ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له ويحمل عنه ويسير عليه ولا يعاجله . ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته . ولمحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءة والعميان وهو سبحانه يعامله بالمفقرة والإحسان . فلولا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاشي والمخالفات لفاقت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعافها . فتبارك الله رب العالمين وأحكام الحاكمين، ذو الحكمة البالغة والنعيم السابقة. الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمة باهرة.

المصدر: كتاب الله .. أهل الثناء والمجد